

كيفية نقد الخط العربي

إن الجراءة التي كان يتمتع بها الفنان المسلم هي التي أوصلت الخط العربي إلى هذه المكانة السامية ، فكان الخط يتطور من مدرسة إلى مدرسة بتلك الحرية المستولة التي أتاحت للمبدعين في كل مرحلة من المراحل أن يضيفوا إليه بقدر ما يستطيعون من تحسينات في سعيهم نحو الكمال .

لكن ما أن وصل الخط بعد هذه الرحلة الطويلة من الإبداع إلى النضوج في المدرسة التركية ، تم قطف ثمرته دون أن يتم زرع شجرة أخرى !

وأصبح مطلوباً من الجميع أن يتوقفوا عند المدرسة التركية ، ولا يغادروها ، وهذا ماتم بدرجة كبيرة ، فمنذ ذلك التاريخ ارتد الخط مرة أخرى إلى مراحل الأولى ، وأعنى أن الفروق بين الخطوط أصبحت فروق

تجويد لافروق خصائص ، وتحول الخطاطون إلى نسخ مكررة من معلمهم .

إن «الأمشَق»^(١) التي نتعلم منها الخط الآن هي نفسها التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر ، وحتى الكتب التي جاءت بعد سلكت الطريق نفسه ، دون أن تحذف أو تضيف على الرغم من الحاجة الملحة إلى ذلك ، وأصبح الحصار محكماً بقواعد الخط . أو هكذا صورها لنا الفقه المتداول لهذا الفن .

إن الإبداع لا يمكن أن يتوقف مع حركة الزمن ، إن الماء الراكد

(١) جمع مشق وهي الكراسة التي تخوى الصورة القياسية للحروف .

يفسد فما بالك بالفن ، فهو يتغذى بحركة المبدعين الأحرار ، ويحيا في وجدان الناس متى ما كان ملياً لحاجتهم الفنية .

إن الحديث عن نقد الخط العربى وسط هذه الأجواء الراضية لكل جديد يعتبر ترفاً لا مكان له ، لذلك فإن أول خطوة لترسيخ مبدأ النقد هى أن تتحرك العقلية المبدعة بعيداً عن هذا الجمود الذى يحيط به ، وأن تتحرر من الخوف من تجريب عوالم إبداعية جديدة تستطيع فيها أن تتحول - بفهم ومسئولية - من مقياس النقطة إلى مقياس الجمال .

ولقد ساعد على هذا الجمود أن الخط كان يُدرس فى المساجد بنفس الطريقة التى كانت تدرس بها العلوم الدينية ، حيث إن المعلومات القادمة من الشيخ دائماً تكون نهائية ويجب التسليم بها ، وهذا أمر مفروغ منه فى علوم القرآن ، لكن الأمر فى الخط العربى لم يسلم أيضاً من هذا الشمول ، وحظى معلم الخط بنفس احترام معلم القرآن ، واستمر هذا الاحترام حتى اليوم وهذا شئ جميل ، لكن هذا الاحترام جعل المعلمين فوق النقد فأصبحت وجهة نظر الأستاذ هى المهيمنة دون أن تكون

خاضعة لأى نقد فنى ليسكت الجميع عن أن يقولوا شيئاً ، فإذا تكلم أحدهم فهو يعلم أن أستاذه لن يرضى عنه وبالتالي فهو تلميذ غير وفى ، ولا يستحق أن تكشف له أسرار الخط ، وتحول الخط - فعلاً - إلى سر لا يخرج الأستاذ إلا عندما يتأكد تمام التأكد من ولاء تلميذه له ، لدرجة أن تحضير الحبر كان سرّاً من الأسرار العظيمة .

وتحول النقد الفنى - بذلك - إلى همس دون أن يستفيد منه صاحب الإنتاج الفنى ، لأنه يتم شفاهة وفى عناية ، ولا يستطيع أن ينقل وجهة النظر المخالفة إليه أحد إيثاراً للسلامة . وبهذا الفعل الهامس لم يستطع من هو خارج قبيلة الخط أن يمارس النقد ، وبحكم التلمذة والاحترام والزمالة لم يعرف الخط العربى شيئاً اسمه النقد الفنى .

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

محمد شوقي

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

محمد مؤنس

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

عبد العزيز الرفاعي

توقف الإبداع بعد أن تحول الخطاطون إلى نسخ مكررة من معلمهم ، دون أن
يتجرأ أحدهم أن يدخل أى إضافات حتى إذا كانت ضرورية ، فأمل دقة
التقليد !

فى السابق كان التنافس الشديد بين الخطاطين هو الذى يساهم فى رفع المستوى ، فبدلاً من أن يقول أحد الخطاطين إن هذا الخطاط قد أخطأ فى عمل ما ، فإنه يقوم بتقليد العمل وهو خالٍ من هذه الأخطاء ويترك للآخرين اكتشاف هذه الأخطاء ، وكانت هذه المقارنات تتم بين الخطاطين فقط دون أن يكتبها أحد فانهصر تذوق هذه الأعمال عليهم ، حتى تضخمت بمرور الزمان أعمال آية من الجمال دون أن تكشف مكوناتها ليستطيع الجمهور العريض أن يتذوقها .

وخرج بذلك الخط العربى عن الحركة النقدية ، وترك الساحة خالية للفنون الأخرى ، وهى تفرح فى سعادة ! فانسحاب الخط العربى أراح هذه الفنون من معارك كان يمكن أن تنشأ مع الخط وهى تعلم علم اليقين أنها لن تكون فى صالحها على الإطلاق ، فالخط العربى هوية هذه الأمة .

فإذا كان غير مطلوب من كل الناس أن تمارس الفن - أى فن - إلا أن تذوق الفن - حتى يستمتع به الناس وتصلهم رسالته كاملة - يكون هو المطلوب ، وأحسب أن أول معرفة بالفن تكون بإدراك الإيقاع الذى يربط عناصره ، فلا يوجد شعر بلا تفعيلة ولغة شعرية ، ولا لغة بلا نحو وبلاغة ، ولا موسيقى بلا إيقاع ، بل لا توجد حياة بلا قلب ينبض بانتظام .

إن الإيقاع هو سنة الحياة . فما أن يدرك المرء إيقاع الفن حتى يكون قد امتلك أول أدوات النقد ومن ثم يستطيع أن يكون رأياً أولياً عن ارتفاع قيمة العمل الفنى أو هبوطها .

إن الطلاب الذين يدرسون فى مدارس الخطوط تظهر عليهم أعراض التذوق مبكراً ، فهم يدركون أنواع الخط العربى ويعرفون الفروق بين الخط كفن والخط كإعلان ، ويبدأ إيقاع الخط العربى يتبلور فى

أذهانهم من زاوية العلاقة بين سُمك الحروف ومساحتها ، ثم درجة الميل المشتركة بين الحروف إلى توزيع الكتل والفراغات ، إن الطلاب يعرفون كل ذلك دون أن يكون لهم المقدرة فى التنفيذ ، وهذا يعنى أن تذوق الخط قابل للتدوال بين الناس إذا ماتم الاحتكاك اللازم .

إن فنانى الخط مطالبون أن يخرجوا كل ما عندهم من نقد ، ونشرها حتى تتوسع دائرة المهتمين بالخط ، وإن يرفعوا عن أنفسهم الحرج الناتج عن النقد ، وأن يكتسب الحوار مع التلاميذ روحاً جديدة تؤمن بالفروق الفردية ، لأن العمل الإنسانى غير معصوم من الخطأ بأكثر من الإصرار عليه بمبررات غير مقنعة ..

ومما يجدر ملاحظته أن معظم فنانى الخط المتفوقين لم يصلوا لهذا المستوى الرفيع لولا الحرية الكبيرة فى الحوار التى تمت مع أساتذتهم . وأن إقناعهم تم بصورة طبيعية ، فانعكست هذه الروح «الديمقراطية» على تلاميذهم وتفوقوا أيضاً .

وهذا الحوار بين الأساتذة والتلاميذ فى نقد الأعمال الفنية هو ما نتمنى أن نراه مكتوباً ومتداولاً بين العامة ، متزامناً مع معارض الخط والتى يجب أن تكثف ، وصولاً لميلاد حركة نقدية فعالة . تمهّد لعودة هذا الفن إلى الصدارة كما كان - حيث أن مكانه ما يزال شاغراً - كما تعلمون - حتى الآن .



